

«شبكة» أخطاء ومفاسد

فؤاد دعبول

في لبنان شبكة أخطاء. وهي مرادفة للشبكات الشائعة. والأمثال كثيرة. ولا تحصى ولا تعد. وكما هناك شبكات مطاعم. ثمة أيضاً شبكات مفاسد. ولا أحد يدق بها أو يقاومها. يُروى أن معاقل الفساد أمنع من مواطني الإصلاح. ويُروى أيضاً، أن الفساد يفتك بالإصلاح. في حين أن الهرمان «يجتاح» التفاح. وأن التفاحة المصابة بالهرمان، «تنقل» ما بها إلى السليمة. والعكس لا يصير. كان طه حسين عميداً للأدب العربي. وعندما أصبح وزيراً للمعارف في مصر، أخبروه بعد التجارب، أن الموظف الفاشل، يعمم الفشل على جيرانه، وعبثاً يأمر بجعل الموظف الناجح، وسط مجموعة من الفاشلين. على رجاء منه في تعميم الفضائل والفضيلة. وما يحدث مرة فهو استثناء وليس القاعدة.



في لبنان سلطة مشوبة بالخيبة. والنظام فيه مريض. والادارة الرسمية شبه خاوية. وهي إما مشغولة بالوكالة. والقليل منها بالأصالة. وفي البلاد ثورة بالإنابة. الموظفون تأثرون. والأساتذة تحولوا إلى «ثوار». ولا أحد منهم يفكر في اصلاح محيطه، وتطوير مرفقه العام والخاص. عطلوا الموظف. خلخلوا كفايته. وأصابوا عقله بالخمول. أصبح همه فقط أن يرد الجوع عنه وعن عائلته. وانحصر طموحه بالأكل والشرب. هل يعيش انسان بلا طموح؟ طبعاً لا. وسعيد عقل كان يردد في مثويته إن الانسان الذي لا يحلم ولا يطمح إلى شيء، يصبح جامداً كالصخر. كان برتراند راسل أحد فلاسفة القرن العشرين، والحائز على جائزة نوبل للأدب، يقول إن المزج بين الحب والمعرفة والحلم، يولد أكبر قوة في الأرض. عندما يفكر المواطن اللبناني بما آلت إليه أوضاع البلاد، يتساءل: لماذا أصاب لبنان ما أصابه ويصيبه الآن. ثمة طبقة سياسية فاسدة في الوطن. وفي السلطة مسؤولون سابقون وحاليون، ولا يتورعون عن سياسات الهدر سابقاً ولاحقاً، وماضون في الفساد والإفساد. ولا أحد منهم يخجل مما أحدثه مواطنوهم في العالم. لماذا تلتفت السلسلة حول أعناق الناس، ولا تهتدي السلطة إلى تغطية نفاقاتها. لماذا لا يفكرون بما يحققه البروفيسور فيليب سالم الموجود في لبنان الآن، في قهر مرض السرطان. ولماذا لا يفكرون بما حققه جراح القلب الشهير مايكل دبغي ابن مرجعيون في فن زراعة القلوب في الصدور، وقد لقب بـ «جراح القرن العشرين».



في لبنان نظام مريض. وحكام مرضى بطاعون الغرور. ومعارضون مرضى أيضاً، بالمناكفات. هل يناوئون خصومهم على الغالب، لأنهم فاشلون. لا أحد في لبنان ناجح. ربما هناك وجوه لامعة، لكنها تفتقر إلى الشجاعة. كان وزير الخارجية في معظم حكومات الشيخ بشارة الخوري والأمير فؤاد شهاب، الأستاذ فيليب تقلا ينتصب في المجالس باحترام، ويهرع الآخرون لاداء التحية والسلام له. الاحترام ضرورة لرجل السياسة ولو كان نادراً هذه الأيام.